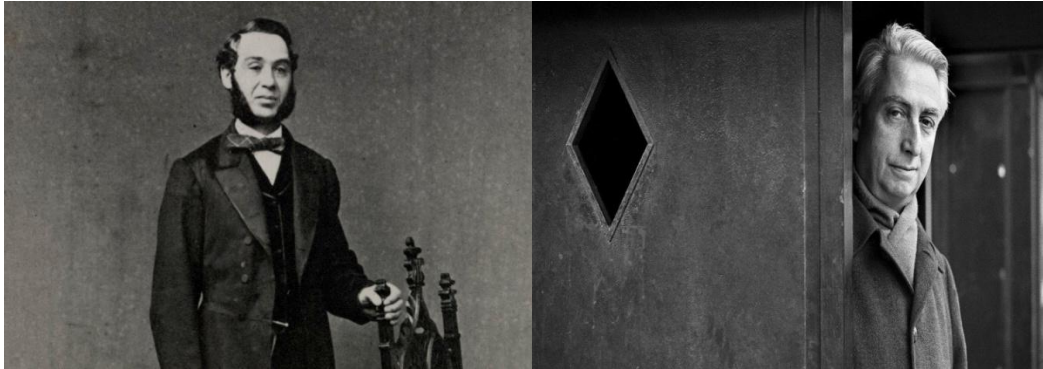


## المحاضرة الرابعة: النقد البنيوي

تمهيد:

كانت البنيوية خلال ظهورها من أكثر المجالات النقدية شيوعا في أوروبا، خاصة مع تطور العلوم اللغوية الانتصار الشكلي للأدب بعد ثورة الشكلانيين الروس، فقد انصب الباحثون محللون العلاقة بين الأثر الفني واللغة وبحثوا عن معانيه الخفية، وتؤكد الدراسات في سياق حديثها عن البنيوية أنها ليس تيار جديدا في الساحة الغربية وأنها مورست منذ عهد قديم، وما {نسميه بنيوية في مجال اللغويات أو الأنثروبولوجيا أو ما شابه، ليس أكثر من تقليد خافت شاحب لما استخدمته العلوم الطبيعية شديدة الدقة منذ زمان غير قريب}<sup>1</sup>، اذ يشهد ليفي شراوس بتمظهرها المبكر منذ عصر النهضة،



قامت البنيوية على ميراث سوسور اللغوي، القائل بأن علم اللغة يمكن أن يكون مفيدا في دراسة الظواهر الانسانية، فسوسور يرى أن {المفردة اللغوية ليست معادلا موضوعيا مباشرا لمجسد مادي مرئي كأن نقول مثلا: إن الصورة الكتابية لكلمة شجرة أو أن الأحرف ش ج ر التي نراها صورة كتابة تعادل صورة الشجرة الحقيقية بل رأى أن العلاقة بين هاتين الصورتين ترى وفقا لعلمية معقدة<sup>2</sup>،

<sup>1</sup> - تزفتان تودوروف، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة ابراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناسرين، مؤسسة الأبحاث العربية، 1982، ص

<sup>2</sup> - فريدينان دي سوسو، محاضرات في اللسانيات العامة، ص23. نقلا عن الربيع بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2000، ص40

وقد تصل في الاخير أن المفردة اللغوية هي بنية وأنها ليست بسيطة كما تبدو، فالألسنية ظلت الرافد الاساسي لمعظم التيارات النقدية المعاصرة، إن الجهود الأولى تعود الى علماء ونقاد ولسانيين وشكلانيين وبعض الجهود التي تعود لحلقة براغ اللغوية خاصة ياكبسون وتريبتسكي، ممن قدموا اطروحاتهم حول اللغة في مؤتمر دولي عقد في لاهاي<sup>3</sup>، فهي اذت تتويج لجهود سابقة تعود لسوسور والى حلق جنيف وبراغ ومدرسة بلونفيد ،

والتسمية كانت من نتاج جاكبسون الذي وصف بها أعمال حلقة براغ اللغوية، لكن دخولها الى حقل الدراسات الأدبية كان في الخمسينات من القرن العشرين، بعدما انساق النقد وراء الخلفيات المحيطة بالنص والسياق الخارجي، فبرزت كتوجه نظري يعمل على الكشف عن البنية النصية العميقة، خاصة مع أعمال ليفي شراوس في كتابة الأنثربولوجيا البنيوية الذي نشر 1958م، فقام بنقل مجال الاهتمام من الحقل اللغوي الى الدراسات الأدبية خاصة في سياق تحليله لأسطورة أوديب، وكان تمارس في أعمال جان بياجيه التي قدمها جوناثان مليير منطلقا من فكرة ان كل العلوم تنطلق من البنية وتتقصى الحالة الانية للأشياء.

## 1- جذور البنيوية:

ولدت البنيوية في الحي اللاتيني في باريس في الستينات من القرن العشرين، وإن زعم العديد من الباحثين بأن البنيوية انبثقت من الشكلانية الروسية، وهذا بطبيعة الحال رأي ليفي شراوس: {إني أؤكد على ان البنيوية الحديثة ومن ضمنها اللسانيات البنيوية ما هي إلا امتداد للشكلانيين الروس}<sup>4</sup>، وهذه

<sup>3</sup> - أنظر بسام قطوس، مدخل الى مناهج النقد المعاصر، ص121، ص122

<sup>4</sup> - الزاوي بغورة، البنيوية منهج أم محتوى، عالم الفكر، م30، ابريل، 2002، ص44-ص45

أيضا الفكرة التي دافع عنها محمد عزام في كتابه تحليل الخطاب الأدبي قائلا: ان البنيوية {نشأت في فرنسا عندما ترجم تودوروف أعمال الشكلايين الروس إلى الفرنسية فأصبحت أحد مصادر البنيوية}<sup>5</sup>،

إن هذه التنظيرات التي دعت الى عزل النص عن مكوناته الخارجية ومقارنته مقارنة محايدة عن طريق الانتصار للقراءة الفاحصة والتركيز على بنية النص والاهتمام بما يمكن ان يخلق عنصر الأدبية فتح المجال لظهور العديد من المناهج النسقية، وبالتالي فالبنيوية جاءت نتيجة جهود سابقة نقدية ومباحث حلقة براغ اللغوية، التي وصلت بين الشكلائية والبنيوية، إن الشكلائية حسب واغليسي لم تكن تمهيدا لنشأة البنيوية فحسب بل كانت مسقط رأس لعلوم أخرى وثيقة الصل بالبنيوية والسيمائية كالشعرية والسردية ولشدة ارتباط هذه الشكلائية بالبنيوية لم يعد من الغرابة في شيء أن نجد الدراسات تنعما بالبنيوية السوفيتية<sup>6</sup>، أما المصدر الثاني للبنيوية هو النقد الجديد الذي ظهر في اواخر الأربعينات من القرن العشرين في أمريكا داعيا الى عزل النص عن السياق الخارجي والتركيز على القراءات الفاحصة للنصوص الأدبية، ثم توسعت مع جهود رولان بارت في سياق كتبه التي تتحدث عن بنية النص وعن الكتابة مما غير من مراحل النقد الفرنسي، الذي راح يستجيب لدعوته بشأن تخلي النقد عن الوقائع الخارجية خلال اقترابه من النصوص الأدبية،

هكذا {جاءت دعوة بارت بالتركيز على العلاقة بين الأثر الأدبي ولغته، فهذه الأخيرة في رأيه ليست جوهر الأثر بل بنيته، ... إن بارت دعا إلى ضرورتجاوز المعاني المباشرة للوصول إلى المعاني الخفية في الأثر فالأثر عنده لم يكن بمثابة الواقعة التاريخية وانما كان عبارة عن واقعة أنثربولوجية تنفرد بميزة لغته الرمزية<sup>7</sup>، وقد عني بدراسة الوحدات البنائية في الشكل القصصي وتتبع بنية الراوي والحدث والسرد، ونظر الى الأسطورة كلغة رمزية غنية بالدلالات. إن بارت أعلن شكواه من النقد المعاصر بعد

<sup>5</sup> - محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص11

<sup>6</sup> - يوسف واغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص113

<sup>7</sup> - أنظر سميرة سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر، ط1، دارالآفاق العربية، القاهرة/مصر، 2007، ص48

بارت انضم كلاً من لاكان وفوكو في النقد الفرنسي لتيار ليفي شراوس ، فقدم فاتحة في تحليل الأفكار والذات البشرية ، بعيداً عن الحركة الأيديولوجية الماركسية التي كانت تهيمن على الفكر الفرنسي ، بالتالي أعطت البنيوية من حيث هي {منهج بحث طريقة معينة يتناول بها الباحث المعطيات التي تنتمي إلى حقن معين من قول المعرفة بحيث تخضع هذه المعطيات فيما يقول البنيويون للمعايير العقلية}<sup>8</sup> ،

## 2- تعريف البنية:



كحال معظم  
المصطلحات نجد  
اختلاف في تعريف  
كلمة بنية ، بين  
البنية الهيكل البناء  
التركيب النظم

البنيان النسق النظام الخ ، وتفرعت بشكل مقلق بين الباحثين ، الغرب والعرب اذ لم يتم الاتفاق عليها كونها امتداد لجملة من المفاهيم الموزعة بين حقول معرفية مختلفة فوردت باسم الشكل والمجموعة ايضاً<sup>9</sup> ، وذلك بسبب ارتباطها بحقل العلوم الرياضية والمنطقية والفيزياء وعلم الأحياء وغيرها ، فهي تعني في المنطق الرياضي: {الشكل الذي هو عبارة عن تنظيم منطقي ، يتم ادراكه عن طريق العقل أو الفكر }<sup>10</sup> ، كما وصفت بأنها { نظام أو نسق من المعقولة ، أو هي نظام رمزي مستقل عن نظام الواقع نظام الخيال وأعمق منهما في أن وهو النظام الرمزي }<sup>11</sup> ،

<sup>8</sup> - جون ستروك ، البنيوية وما بعدها من ليفي شراوس إلى ديريدا ، تر جابر عصفور ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ص 9

<sup>9</sup> - أنظر يوسف واغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، من ص 120 إلى ص 130

<sup>10</sup> - أنظر بسام قطوس ، مدخل الى مناهج النقد المعاصر ، ص 121 ، ص 123

<sup>11</sup> - أنظر بسام قطوس ، مدخل الى مناهج النقد المعاصر ، ص 121 ، ص 124

تتميز البنية بمجموعة من السمات منها الشمولية واتساق البنية وتناسقها داخليا والتحول والانضباط الداخلي، فالشمولية هنا تعني أنها ليست مجرد وحدات مستقلة جمعت قسرا وتعسفا، بل هي أجزاء تتبع أنظمة داخلية من شأنها أن تحدد طبيعة الأجزاء وطبيعة اكتمال البنية ذاتها، أما التحول فيعني أن البنية ليست وجودا قارا ثابتا...بينما الانضباط الداخلي فيتعلق بكون البنية لا تعتمد على مرجع خارجي لتبرير أو تعديل عملياتها واجراءاتها التحويلية<sup>12</sup>، إن البنيوية نظرية تصف البنيات<sup>13</sup>، ربما لهذا اتصفت بالغموض لأن تعريف البنية تعريف غامض أيضا وهذا ما عبر عنه ليفي شراوس: {ليس مفهوم البنية على الأرجح سوى تعبير نستخدمه لأنه رائع، إن اللفظ المحدد جيدا يمارس فجأة سحرا فرديا خلال بضع سنوات....وبذلك لا يضيف لفظ بنية شيئا إلى ما في ذهننا عند استعماله سوى ملاحظة لطيفة}<sup>14</sup>، وقد أزره في هذا القول الكثير من أتباعه ممن أكدوا أن البنية تأخذ أبعادا كثيرة في النقد، مما يلفها بالالتباس المهم،

إن الجهود التي قدمت حول البنيوية تجعل منها منهجا وصفيا يقارب النص من حيث هو بنية محايدة، مغلقة على نفسها، فهي تركز على تلك العلاقات القائمة في نظامها الداخلي وتظهر أهمية النسق القائم فيها وبالتالي، اذن البنيوية تهتم في نقدها للأدب من المسلمة القائلة بأن {البنية تكتفي بذاتها ولا يتطلب ادراك اللجوء إليها إلى أي عنصر من العناصر الغربية عنها أو عن طبيعتها، فالنص الأدبي النثري أو الشعري هو بنية تتكون من عناصر وهذه العاصر تخضع لقوانين تركيبية تتعدى دورها من حيث هي ورابط تراكمية تشد أجزاء الكيان الأدبي بعضه إلى بعض}<sup>15</sup>، وأي كان ما يتكون منه النص فهو في الأخير بنية وهي تخضع لنشاط يرتبط فيه كل عنصر بالآخر، كما أن البنيوية من حيث هي تيار شكلائي لا تؤمن بالعزل الواضح بين الشكل والمحتوى، مما يعيد لنا مبادئ النقد الجديد الذين احتفظوا

<sup>12</sup> - أنظر بسام قطوس، مدخل الى مناهج النقد المعاصر، ص 125.

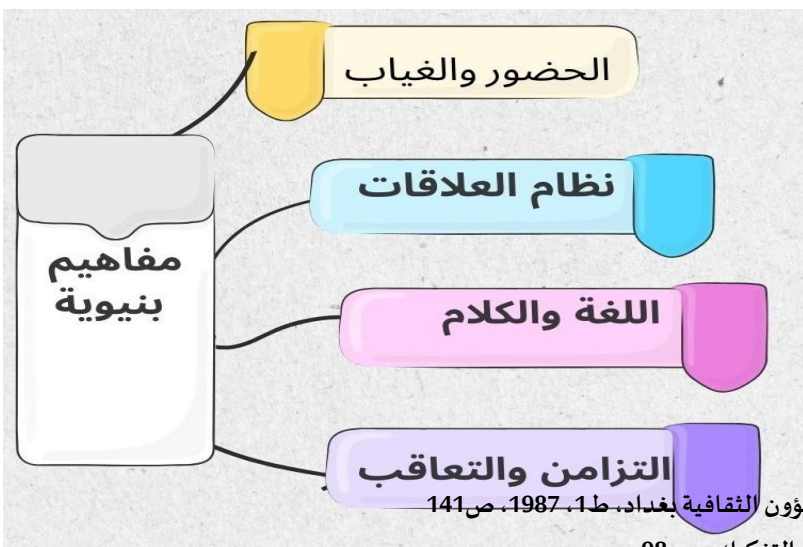
<sup>13</sup> - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، "1، دار الكتاب اللبناني، بيروت/لبنان، 1985، ص 52

<sup>14</sup> - ليفي شراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، ص 326.

<sup>15</sup> - ابراهيمي خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص 95

بالنص مع المناداة بالوحدة العضوية التي تعني عدم قدرة الناقد على الفصل بين النص الابداعي وشكله الخارجي، أليس الشكل والمتن شيء واحد، وما يسمى شكلا حسب صلاح فضل، {هو في الحقيقة ليس سوى بنية تتألف من أبنية موضوعية أخرى توحى بفكرة المحتوى}<sup>16</sup>،

فالبنوية تنظر في صلة الجزء بالكل وبباقي الأجزاء والتأثير الذي يمارس في تشكيل هذه العلاقات، لذا ترى يأخذ نماذج من الشعر او الرواية ليظهر النظام الذي ينتمي اليه، فلكل نوع من الأنواع الأدبية {نظام بنيوي وعلى الناقد أن ينظر في مدى تطابق هذا النص مع النظام أو ما فيه من انحراف، ونوع هذا الانحراف، فهل يؤدي الى زيادة في تماسك النص وانسجامه وائتلاف أجزائه أن يؤدي إلى خلل فيه واضطراب}<sup>17</sup>، وهذا ما رأيناه عندما اصطدنا بتحليلات بنوية للسرد القصصي والروائي فتعرفنا على بنية المكان والشخصية وعلى الأحداث وتم تقطيع الزمن ووقفنا على بنيات القصيدة ومقاطعها المختلفة، لذا ذهب بعض الباحثين الى بيان أهمية هذا التيار النقدي كونه يعيد الاعتبار للنص، إن {البنوية تعلي من شأن النص ورموزه وتقلل من أثر الذات والوعي سواء أكان وعي المؤلف وذاته أم وعي المؤلف أم وعي القارئ وتلك مفاهيم هيمنت على النقد الأدبي عصورا غير قصيرة}<sup>18</sup>،



### 3- مفاهيم بنوية:

تعد المفاهيم التي نادت بها البنوية حصيلة ارتكازها على أبحاث فردناند دي سوسور، واتسعت بفضل جهود هؤلاء

<sup>16</sup> - صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية بغداد، ط1، 1987، ص141

<sup>17</sup> - ابراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص 98

<sup>18</sup> - ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ المغرب، ص39

البنويون أهمها مقولة النسق التي تعطي للبنية حضور واسع واشمل من الكلمة، فهي {ليست مجموع من العناصر، بل إنها هذه العناصر بما ينهض بينها من علاقات تنتظم في حركة}<sup>19</sup> ، وبالتالي فإن أهم ما تهتم به البنيوية هي مقولة العلاقات بين البنيات الداخلية للنص، فتحول الاهتمام من الذات كمصدر للمعنى إلى نظام من الشفرات التي أداة لتشكيله تحت مفهوم اللاوعي الذي يشكل الظواهر الأولية، وهي علاقات مستقلة عن وعي الانسان وتخضع لمفهوم التطور وبسبب هذه التناقضات تترتب عنها مجموعة من الثنائيات منها:

### أ- اللغة والكلام:

تعتبر من أهم الثنائيات التي طرحت في المفهوم السوسوري والتي سبق وأن استفادت منها المقاربات الأسلوبية، إذ اتجهت إلى العناية بالشق الثاني من الثنائية، فالبنوية ارتكزت على علم اللغة، واعتبرت اللغة مجموعة من المعايير الثابتة التي تهدف إلى التواصل، بينما يهتم الكلام بتجليات النظام في الكتابة، ولطالما نظرت الى الثنائية من زاوية علاقة الكل بالجزء ، ورفضاً فكرة الفصل، كون الكلام هو التجلي الفعلي للغة، وبالتالي فاللغة {نظام اجتماعي مستقل عن الفرد ولا شعوري، إذ هي تمثل مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تتحكم في انتاج الكلام.... أما الكلام فهو التطبيق الفعلي لهذه القوانين}<sup>20</sup> ، لقد عني بهذه المقابلة الكبرى بين اللغة والكلام، معتبراً أن {اللغة هي النظام النظري للغة من اللغات او بنيتها هي مجموعة القواعد التي ينبغي على متكلمي تلك اللغة ان يلتزموا بها اذا ارادوا الاتصال فيما بينهم امام الكلام فهو الاستخدام اليومي لذلك النظام من قبل المتكلمين الأفراد<sup>21</sup>

### ب- نظام العلاقات:

<sup>19</sup> - الربيعي بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، ص44

<sup>20</sup> - أنظر بسام قطوس، مدخل الى مناهج النقد المعاصر، ص127

<sup>21</sup> - دون ستروك، البنيوية وما بعدها من لفي شراوس الى ديريدا، ترجمة جابر عصفور، ص16

المبدأ الثاني الذي نادى به البنيويون هو نظام العلاقات التي تحكم اللغة، فاللغة في نظرهم هي مجموعة من العناصر غير مستقلة فيما بينها، إن العناصر {عقد تلتقي عندها سلسلة من الاختلافات، تماما كالنقطة الرياضية التي ليس لها مضمون في حد ذاتها، وإنما يتحد مضمونها على ضوء علاقتها بغيرها من النقاط}<sup>22</sup>، إن الأطروحة الأساسية في البنيوية هي أسفية العلاقة على الكينونة، لذا لا يمكن النظر إلى الوحدات في حد ذاتها، بل في نظام علائقي تقيمه مع باقي العناصر الأخرى، إن أهم ما يميز البنيوية هي نظام العلاقات بين البنيات المشكلة للنص، لذا ترى أولية الكل على الجزء كما سبق وأن أشار الباحثين المنشغلين بها، فالبنيوية لا تدرس الظواهر الانسانية في ذاتها وإنما تطرح هذه الظواهر وتتجاوزها إلى الباطن والبحث عن النظام الخفي فيها.

### ج- التزامن والتعاقب:

تتوسع دائرة الثنائيات التي تؤمن بها البنيوية، لتشمل ثنائية التزامن والتعاقب، وهي تحمل دلالات واضحة في الفكر البنيوي، إن {التزامن هو زمن حركة العناصر فيما بينها في زمن واحد هو زمن نظامها داخل البنية، أما التعاقب فهو {دراسة العلائق بين عناصر متعاقبة يحل فيها كل عنصر محل العنصر الآخر بمرور الزمن}<sup>23</sup>، ويبدو أن عبد السلام المسدي ترجم مصطلح التزامن بالأنية التي تحدث عنه سوسور، مما يجعل دراسته للظواهر تتم في زمن واحد هو زمن نظامها، فالتزامن {يفترض إذا بنية متكونة منظمة الحركة مبلورة النسق بنية تعمل بقوانين لها وهي في خصائصها هذه قابلة للعزل ولتكشف نظامها وتكشف قوانين هذا النظام وحركة تلك العناصر المتعايشة في هذه البنية وفقا لهذا النظام<sup>24</sup>،

<sup>22</sup> - جوناثان كير، الشعرية العربية، ترجمة السيد إمام، شرقيات، 200، ص 10

<sup>23</sup> - أنظر بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 129

<sup>24</sup> - يماني العيد، في معرفة النص، ص 33

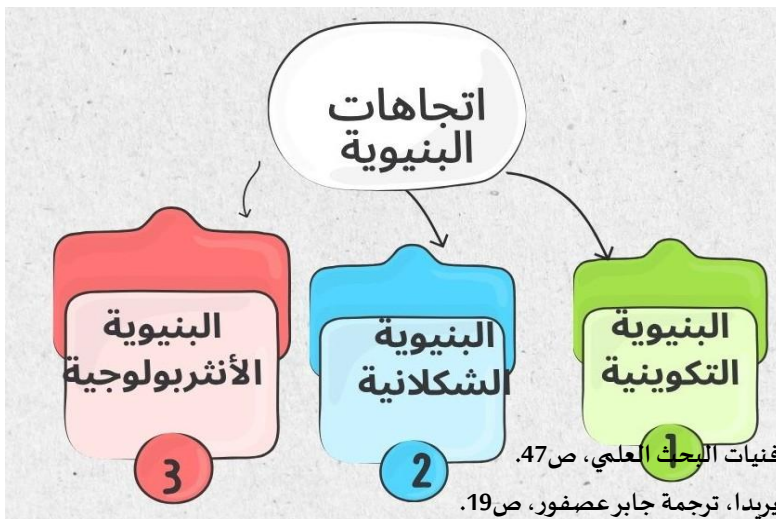
ويبدو ان مصطلح التعاقب ترجم بالزمن، والزمانية أيضا وبهذا فإننا نعد الى ثنائية سوسور اللغوية الشهيرة في دراسته للغة دراسة آنية زمانية تعود بها إلى الوراء فتفتح الدراسة على الزمن وعلى عنصر الوقت، فقبل سوسور كان اللغويون مهتمين بتاريخ كل لغة على حدة ولم يتوقفوا ليكشفوا بنية اللغة لاي منها بايقافها عند لحظة معينة ويتم فهم قواعدها بشمل أفضل، فالمقاربات السابقة لم تسمح بمعرفة التطور الذي شمل بنية ما أو مراحل الانتقال من بنية إلى أخرى أو نسق لآخر، ومن نظام إلى آخر، بل إنها تعني {استمرار البنية نفسها التي تتعرض بسبب تهدم عنصر من عناصرها الى خلل ثم لا تلبث هذه البنية نفسها أن تستعيد نظامها بعد دخول العنصر البديل فيها فالبنية هذه لا تتغير ككل والتعاقب لا يعني زمن هذا التغيير الكلي}<sup>25</sup>،

#### د- الحضور والغياب:

هذه الثنائية تنبني اساسا على ثنائية اخرى وضعتها سوسور هي الدال والمدلول، والعلاقة التي تؤلف بينهما تشكل علاقة الحضور والغياب، إذ تبحث الجهود البنيوية عن الظواهر النصية الظاهرة والباطنية وعلاقتها العميقة، فالدوال هي العلاقات الظاهرة التي تخلق مساحات واضحة بينما تمثل المدلولات اشارة غياب لأنها تعتمد على الصور الذهنية الموجودة في ذهن المتلقي، فالبنوية تدرس العلاقات القائمة بين عناصر في نظام يشترط كل منها وجود الآخر وليس بين جواهر كل منها مسقل بذاته<sup>26</sup>

#### 4- اتجاهات البنيوية:

تمكنت من التفرع بدورها إلى اتجاهات مختلفة، وتيارات بنيوية، ويقسمها الباحثون إلى ثلاثة هي:



<sup>25</sup> - أنظر الربيع بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفتيات البحث العلمي، ص 47.

<sup>26</sup> - جون ستروك، البنيوية وما بعدها من لفي شراوس الى ديريدا، ترجمة جابر عصفور، ص 19.

### أ- البنيوية التكوينية:

يقال إن البنيوية لما توطدت علاقتها مع الشكلانية وجدتها نفسها في صراع مع الانغلاق، لذا حاولت البحث عن مشارب جديدة للخروج من المأزق الذي وقعت فيه، يذهب بسام قطوس في كتابه مدخل الى مناهج النقد المعاصر إلى القول إن البنيوية التكوينية تعود للمفكر الماركسي لوسيان غولدمان الذي سعى إلى التوفيق بين البنيوية والشكلانية، وأسس الفكر الماركسي، لأن غولمان اهتم بالسياق الخارجي للنص الأدبي، فهي تنطلق من فكرة أن { كل سلوك بشري هو محاولة لتقديم دواب دلالي على موقف معين وغايتها خلق التوازن بين الذات الفاعلة وبين موضوع الفعل أي العالم المكتنف }<sup>27</sup>، إن غولدمان يؤمن بالتغيير البشري، وعلاقة التأثير التي تطال الأدب والرؤيا الكونية للأفراد تجاه العالم، لذا فالنص وفق غولدمان يمكن تفسيره لكن انطلاقاً من بنيته الاجتماعية الخارجية ولا يمكن عزله نهائياً عن ما يحيط به. إن غولدمان أشار إلى البنية الأدبية التي تتلخص عنده في {تقديم رؤية الكاتب أو الأديب للحياة، وهذه الرؤية لا يمكن ان تكون من اختراع الفرد أو ابتكاره، وإنما هي رؤية تصوغها فئة اجتماعية يشكل الكاتب أو الأديب أحد الأفراد المنضوين في صفوفها}<sup>28</sup>، لذا فهي تؤمن بفكرة التلاقي بين البنية وبين خلفات الكاتب المعرفية.

وتشكل {البنية الدلالية الأداة الرئيسية للبحث عن غولدمان يفترض فيه وحدة الأجزاء ضمن كلية والعلاقة الداخلية بين العناصر والانتقال من رؤية سكونية إلى رؤية دينامية مضمرة داخل المجموعات يتجه نحوها فكر ووجدان وسولك الأفراد<sup>29</sup>، وقد واصل المسيرة من بعد غولدمان جاك دوفينو وجاك دبوا وموييو وجاك لينهارت وغيرهم، ويمكن أن نشير إلى الأسس التي قامت عليها البنيوية التكوينية التي يسميها البعض بالبنيوية الأيديولوجية، وهي تعود إلى المدرسة التحويلية أو التوليدية، التي

<sup>27</sup> - أنظر بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 125

<sup>28</sup> - ابراهيمي خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكير، ص 104

<sup>29</sup> - محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في نقد النقد، ص 229

أسسها رواد الاتجاه الشكلي في أمريكا، وهي تعتبر اللغة عادة من العادات التي تكتسب بالمحاكاة والقياس وهذا ما تم على يد تشومسكي وهريس، وغيرهم من اهتموا بالجوانب النفسية التي تدفع الانسان الى التواصل استخدام الرموز اللسانية المختلفة وهي محركات ذهنية ونفسية<sup>30</sup>، فالبنوية التكوينية لا يمكن ان تتجاوز مفهومي الفهم والشرح، يرتبط الأول بالنص بينما يستحضر الثاني المحيط الاجتماعي للنص} وهكذا يصير النص في هذا التصور المنهجي تعبيراً عن رؤية العالم التي هي ليست وقائع فردية، انما هي احداث اجتماعية ترفد الفئة الاجتماعية التي ينتمي اليها صاحب النص}<sup>31</sup>

### ب- البنية الشكلانية:

تعد البنية الشكلانية أحد الاتجاهات النقدية التي تنطلق من دراسة العمل الأدبي بوصفه بنية لغوية مستقلة، قائمة بذاتها، لا تحتاج في فهمها وتأويلها إلى الرجوع إلى سيرة المؤلف أو إلى الظروف التاريخية والاجتماعية التي أنتج فيها النص. فالشكلانية تركز على مبدأ جاكبسون الشهير أن موضوع الأدب ليس الأدب بل الأدبية، وكذا أعمال فيكتور شكولوفسكي التي تنادي بالكشف عن القوانين الداخلية التي تحكم تشكّل النص، من خلال تحليل لغته وبنيته وأساليبه التعبيرية، باعتبار أن المعنى يتولد من العلاقات القائمة بين عناصر النص ذاته. إن هذا التوجه البنيوي يركز على البنية من حيث هي {ساكنة وغير متحركة في الزمان والمكان، وكأنها معزولة عن السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي نشأت فيه ويمثل هذا المذهب نقاد ومفكرون مشهورون أمثال رولان بارت}<sup>32</sup>، لذا فالنص ينتمي الى مؤلفه لكن أدبيته مسقاة من التركيب اللغوي الذي يكونه.

### ج- البنية الأنثربولوجية

<sup>30</sup> - أنظر الربيع بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، ص 51

<sup>31</sup> - يوسف واغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، صص 146، ص 147

<sup>32</sup> - الربيع بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، ص 47.

سبق وأن أشرنا أن ليفي شراوس كان من الأوائل الذين قدموا تحليلات بنيوية عن الأساطير وطرق التشاكل فيها، إذ طبق مبادئ اللسانيات البنيوية على دراسة المجتمعات البدائية، فاعتبر أن الثقافة، مثل اللغة، نظام من العلامات تحكمه علاقات داخلية لا وعي بها. قد عمد إلى تحويل الأسطورة إلى لغة أو تشكيل لغوي يسلط الضوء على ما فيه من نقاط الاختلاف أو الاتفاق<sup>33</sup>، وفق ذلك فالبنيوية الأنثروبولوجية اتجاهاً يهدف إلى الكشف عن البنى العميقة التي تتحكم في تفكير الإنسان وسلوكه الثقافي، من خلال دراسة الظواهر الاجتماعية والرمزية مثل الأساطير، والقراءة، والطقوس، واللغة. وتنطلق هذه البنيوية من افتراض أساسي مفاده أن العقل البشري يعمل وفق أنساق وبُنى ثابتة ومشاركة بين جميع البشر، مهما اختلفت ثقافتهم ومجتمعاتهم.

إن ليفي شراوس أصر على مبادئ بنيوية في دراسته لأنظمة الخطاب وهي أن اللغة نفسها يجب أن تدرس قبل أن تدرس علاقتها بالنظم الأخرى مما يستوجب معرفة بنيتها الداخلية، كما أكد أن الكلام وهو الشكل المسوموع للغة يجب أن يحلل إلى عدد محدود من العناصر البسيطة كالفونيمات على المستوى الفونولوجي، وثالثها ان اللغة يجب أن تحدد على أساس علاقاتها المتبادلة وهي نعان علاقات جدولية بين عناصر يمكن احلال بعضها محل بعضها الاخر وعلاقات تركيبية بين عناصر يمكن ان ترتبط معا وهي المبادئ التي وقف عليها شراوس في تحليلاته الأثربولوجية<sup>34</sup>

في هذا السياق، لا تهتم البنيوية الأنثروبولوجية بمحتوى الأسطورة ذاته، بل بالعلاقات التي تربط عناصره بعضها ببعض، وبالطريقة التي تنتظم بها هذه العناصر داخل بنية كلية. فالمعنى لا يكون في العنصر المفرد، وإنما في موقعه داخل النسق العام. وبذلك، تسعى البنيوية الأنثروبولوجية إلى تجاوز

<sup>33</sup> - ابراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص 95

<sup>34</sup> - أنظر جون ستروك، البنيوية وما بعدها من ليفي شراوس إلى ديريدا، ترجمة جابر عصفور، ص 68

الظاهر نحو الباطن، وإلى الانتقال من دراسة الوقائع الجزئية إلى استنباط القوانين العامة التي تحكم الثقافة الإنسانية، معتبرة أن تنوع الثقافات يخفي وراءه وحدةً بنيوية عميقة.

## 5- نقد البنيوية:

إن الجهود النقدية في كل مرة تظهر فيها تنمو وتلقى الترحيب وسرعان ما تطالها الانتقادات والنقد بدورها، وهذا حال المناهج النقد والمدارس التي ذكرت سابقا، وامتدت الانتقادات الى البنيوية التي اهتمت بالنص وبالبنية وشملتها تلك الآراء التي تعيب عليها الانغلاق والاهتمام بالنموذج اللغوي، ومحو الانفرادية والتميز، ويعتبر جاك دريدا من أهم النقاد الذين عجلوا بانحصار هذا التيار، حيث راح يدعو إلى تجاوز الاختزالات الشكلية التي تميزت بها البنيوية، فقد أسس التفكيكية، وانتقد فكرة ثبات المعنى والبنية، وبين أن المعنى دائم التأجيل والاختلاف. وانضمت اليه جوليا كريستيفا وغير ذلك من الباحثين الذين نظروا لمناهج أخرى سنأخذها بعين الاعتبار لاحقا أهمها السميائية والتفكيكية من أبرز من نقد البنيوية إضافة إلى أن تيارات ما بعد البنيوية عموماً اعتبرت أن البنيوية تبالغ في الثبات والنسقية. وهذه المآخذ على البنيوية ذكرت في كتاب ابراهيم خليل النقد الأدبي الحديث<sup>35</sup> هي:

❖ . اهمال البنيوية للمعنى يغلق على المقاربات النقدية منافذ الدلالة والانتاج الخلقى للأدب، وترفض

فكرة تعدد المعنى التي تجعل النص يختلف في كل قراءة، وتهمل دور القارئ في المساهمة النقدية،

❖ — البنيوية اتهمت بالانشغال بالبنية الداخلية للنص (اللغة، الرموز، العلاقات) على حساب السياق

التاريخي والسياسي والاجتماعي.

❖ — اتهمت البنيوية بأنها تهتمش دور الفرد والوعي والحرية، إذ تركّز على البنية باعتبارها المحدّد الأساسي

للمعنى والسلوك، مما يقلل من أهمية التجربة الإنسانية والإرادة الفردية.

<sup>35</sup> - أنظر ابراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص 103

- ❖ — هناك تشابه عميق بين البنيوية واتجاه النقد الجديد الذي دعا إليه النقاد الجدد في أمريكا، لذا فهو لا يبتعد عن الدعوة إلى عزل النص عن سياقه الخارجي.
- ❖ — البنيوية شبه علم، فهي تقدم مجموعة من الاستبيانات والجداول والتحليلات الجامدة التي لا تغذي الأدب إنما تسلبه روحه، حاولت البنيوية تقديم نفسها كمنهج علمي دقيق، لكن نُقدت لأن مفاهيمها (مثل "البنية العميقة") أحياناً تكون تجريدية وصعبة التحقق تجريبياً.



## 6- في الساحة العربية:

تطالعنا الكثير من الجهود النقدية التي تلقت البنيوية في الساحة العربية، وجعلتها فضاء لتطبيق المعارف اللغوية والاهتمام بشكل النصوص الابداعية، وتقريباً حسب البحوث التي اقترنت منها فقد عررفت الساحة النقدية العربية في السبعينات من خلال ظهور عدد من الترجمات ومنهم نجد يمني العيد ومحمد برادة، وخالدة سعيد، وجابر عصفور وسيزا قاسم ولحميد حمدياني، وحسن بحراوي وغيرهم، كمال أبو ديب قرن البنيوية بمجالات الشعر والأدب الشعبي، فكمال ترك لنا كتاب أضحي من أشهر الكتب التي ألفت في النقد البنيوي جدلية الخفاء والتجلي دراسة بنيوية في الشعر نشر في بداي الثمانينات، وكتب أخرى تقارب النص الشعري والأسطورة مقتربا من تنظيرات ليفي سراوش وتحليل بروب وقد وقف في تحليلاته على ثنائيات كثيرة مبرزاً تعارضات النص وتناقضاته، أبو ديب أراد أن يتعرف على بنية القصيدة الجاهلية من خلال إضاءة أتساقها اللغوية أو من خلال العلاقات المميزة في الوحدات

المشكلة للقصيدة فقصد إلى ذلك من ناحيتين سياق الثنائية الضدية من ناحية وتقسيم البنيات إلى شرائح من ناحية أخرى والاتجاه العام لديه هو معالجة البنيات الشعرية للقصيدة وان بنية القصيدة عنده هي بنية ذات دلالة قيمية وفنية تحتل المكانة الأساسية في الدراسة<sup>36</sup>،

وهذه المعرفة نجدها أيضا عند نبيلة ابراهيم في كتابها أشكال التعبير الشعبي، والتي عرفت لنا بنية الحكاية الشعبية والخرافية والاساطير وقامت بتحليلات عميقة، وكتابتها فن القص أيضا. وكذا هدى وصفي التي اقتربت من عالم نجيب محفوظ الروائي، ولكن من وجهة نظر نفسية بنيوية، محمد عبد المطلب الذي قدم قراءات بنيوية لنماذج من الشعر الحديث، منها احمد سيوليم الذي فكك قصيدته وركز على الظواهر الكمية محاولا صياغة النص صياغة رياضية، فتوقف عند عدد الأفعال والصيغ ومحللا القصيدة إلى أجزاء ومتقصيا أدوات النفي وغيرها<sup>37</sup>، ويمكن أن نضيف قراءات صلاح فضل حول الشعر العربي والتي عملت على استكشاف القوانين المتحكمة في نية الشعر الايقاعية، ونازك الملائكة في كتابها الشهير قضايا الشعر المعاصر الذي درس النص كبنية مؤلفة من مجموعة من البنيات المقطعية والعروضية، وهناك جهود عز الدين اسماعيل في اقترابه من النص الأدبي باعتباره بنية تكوينية تكشف عن نفسية المبدع وظروفه الاجتماعية العامة.

<sup>36</sup> - سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص 60

<sup>37</sup> - أنظر سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص 75، ص 76